IJHER International Journal of Humanities and Educational Research
ISSN: 2757-5403
Volume 5, Issue 3, June 2023

Received: 05/02/2023 **Accepted:** 22/03/2023 **Published:** 01/06/2023

TECHNIQUES OF ARGUMENTATION IN THE INTERPRETATION OF" TAHRIR WA TANWIR"

Sana LOUKILI [1]
Researcher, Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Morocco
Chams-Eddoha MARRAKCHI
Dr, Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Morocco

Abstract:

The explanatory text of the holy Qur'an is based on foundations and criteria that makes it a communicative and argumentative discourse that seeks to convince others of issues of Islamic belief.

This article attempts to study the techniques as wellas the means of interpretative argumentative discourse, in Ibn Achor's book tituled: Tahrir Wa Tanwir through Surat Al Anaam: by extracting the argumentative mechanisms and it's technics employed in the interpretation of the Quran.

Key words: Techniques of Argumentation, Tahrir Wa Tanwir.

http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.20.11

[1] sanaloukili8@gmail.com

تقنيات الحجاج في تفسير التحرير والتنوير

سناء لوكيلي

الباحثة، جامعة سيدي حمد بن عبد الله فاس، المغرب

شمس الضحى مراكشي

د، جامعة سيدي حمد بن عبد الله فاس، المغرب

الملخص:

يتأسس النص التفسيري للقرآن الكريم على جملة من الأسس والمعايير التي تجعل منه لغة تواصلية وحجاجية في الآن نفسه، وقد بات واضحاً مدى اهتمام المفسرين بالحجاج خاصة في برهنتهم على قضايا العقيدة، ويعد تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور أحد أهم هذه الكتب، لعنايته بالجانبين: اللغوي والبلاغي معاً في تفسير كلام الله المنزل، ودفاعه عن التصور العقائدي. وذلك بتوظيفه لمجموعة من الآليات الحجاجية -باعتبار النص القرآني خطاب أمة يسعى لتحقيق مقاصد الشريعة- كحجة المثل، وحجة الشاهد لبناء واستنباط القواعد والأحكام ...وغيرها من الآليات التي منحت التفسير صيغته الإقناعية، والتي لا تختلف في أغلبها عما نجده اليوم في الدرس اللساني التداولي المعاصر .

وارتباطاً بما سبق فإنني سأنطلق من إشكال عام يدور حول ماهية الآليات الحجاجية التي أنتهجها الطاهر بن عاشور للدفاع عن تصوره العقائدي في إثبات وحدانية الحق تعالى. وذلك بالتعريف أولاً لمفهوم الحجاج في البلاغة الجديدة، ثم الوقوف على البناء الحجاجي لتفسير آيات العقيدة عنده في سورة الأنعام من خلال الحجج المؤسسة لبنية الواقع والمتمثلة في:

- الاستدلال بحجة الشاهد في القول بوحدانية الله تعالى.
- الاستدلال بحجة المثال في القول بحقيقة البعث.
- الاستدلال بالتمثيل في القول بصفات الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، البلاغة الجديدة، بلاغة الحجاج، حجج مؤسسة لبنية الواقع، الشاهد، التمثيل.

المقدمة:

إن اهتمام علماء التفسير بالحجاج راجع بالأساس لاعتبارهم النص القرآني خطاباً حجاجياً تخطى ببلاغته قريحة الشعراء، فهو عندهم رسالة موجهة وغايته محددة، حيث يسعى لإقناع البشرية جمعاء بالتخلي عن معتقداتهم والإيمان بالمعتقد الجديد، وهو بذلك ردٌّ على كل منكر لحقيقة البعث والتوحيد.

وليُحْمَلَ السامع على الإذعان لسلطة هذا القول الجلل ثم التقيد بمضامينه، كان لزاماً على المفسرين استنباط الأحكام الشرعية من هذا النص، ثم استحضار الحجج المناسبة للعمل بها."ويمكن القول إن عمل المفسر يقوم على البيان وهو عمل يجنح إلى اختيار الحجج والبراهين المبنية لذلك النص، وتقوم على منطق العقل الذي وظيفته الإقناع، لأن المتلقي قد لا يعي النص القرآني من الوهلة الأولى، لكن المفسر يبسطه بطريقة حجاجية تحمل ذلك المتلقي على التقيد بما ورد فيه أو العمل به". (حشاني وخيضر http://revue/ummto.dz) وهو ما يفسر اهتمامهم الشديد بإضاءة ألفاظ القرآن وإبراز تناسب الآيات مع أسباب التنزيل ومراعاة السياق وأحوال السامع.

1-مفهوم الحجاج في البلاغة الجديدة:

قدمت الدراسات اللغوية الحديثة مفهوم الحجاج (L'argumentation) من خلال الإطار النظري الذي تبنته المقاربات الحديثة في علوم اللغة والمنطق والخطاب، فضمن نظرية البلاغة الجديدة يحدد كل من بيرلمان وتيتكا تعريفاً يتأسس على فتح آفاق جديدة تحاول إخراج الحجاج من الدائرة الضيقة التي حصرته فيها الدراسات التقليدية، خاصة وأن موضوعه قائم على " درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم" (Perlman et Tyteca p5,2000) .

لقد كان اهتمام بيرلمان في بداية مسيرته العلمية منصبا على علم المنطق والأخلاق والميتافيزيقا ومن أشهر أعماله التي لاقت التفاتاً وإقبالاً واسعاً:

إمبراطورية الخطابة (L'empire rhétorique) الذي أُصدر سنة 1977 ومصنف في الحجاج _الخطابة الجديدة_ (La nouvelle rhétorique) الذي ألفه برفقة أولبرخت تيتكا، (Olberechts Tyteca) سنة 1958.

وساهمت هذه الأعمال في ارتباط إسم بيرلمان بالخطابة الجديدة، هذه الأخيرة التي حاولت تصحيح الرأي الذي كان يرى في الخطابة مجرد زخرفة و تزيين، وأخذت على عاتقها مهمات منها:

- تخليص الدرس البلاغي من القيود التي مورست عليه من طرف البلاغة القديمة.
- لفت أنظار الدارسين إلى دور اللغة ومساهمتها في بناء المجتمعات.
- الإشارة الى الأبعاد الاجتماعية الجديدة للبلاغة.

فكانت أولى خطواتهما تحديد موضوع نظرية الحجاج والمتمثل في "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان الى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم"

(Perlman et Tyteca, 2000, p5)، وتحقيق هذا التسليم أو الإذعان من طرف الآخر يتم عن طريق الاقتناع (la conviction) الذي يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال والإقناع. فإذا كان الاستدلال هو استنباط المقدمات التي تفضي بنا إلى نتائج غير قابلة للدحض، فإن الحجاج ضمن نظرية البلاغة الجديدة ليس من هذا القبيل، ذلك أن الحقيقة فيه ليست مضمونة أو موضوعية بل هي نسبية و مرتبطة بالمقام و"إذا سلمنا أن الإقناع (La persuasion)، يكون

بمخاطبة الخيال و العاطفة، مما لا يدع مجالاً لحرية الاختيار على أساس عقلي، فإن الإذعان يكون بواسطة الاقتناع و فرق بين الاقناع والاقتناع كما يرى شانييه (إن المرء في حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة أما في حلة الإقناع فإن الغير هم الذين يقنعونه دائماً) " (صولة، 2011، ص15)، وبهذا تكون الحقيقة الحجاجية متعددة وغير متعالية.

كما يقسم المؤلفان الحجاج إلى قسمين حسب طبيعة ونوع الجمهور، الحجاج الإقناعي (l'argumentation persuasive)، وهو يرمي إلى إقناع جمهور خاص (auditoire particulier) والحجاج الاقتناعي (l'argumentation convaincante) وهو يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل: فهو عام، هدفه الأساس هو الإذعان عند المؤلفين في مقابل الإقناع. الذي يكون خاصاً وضيقاً ولا يعتد به في الحجاج.

ومن ثمة يرتبط الحجاج عند الكاتبين بإشكالية التأثير وغايته الأسمى أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليهما من أفكار وآراء، " فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه" (Perlman et Tyteca,2000, p59).

وبهذا تكون نظرية البلاغة الجديدة ترتكز على تقنيات خطابية تتمثل في مجموعة من البنى الذهنية والآليات الحجاجية المرتبطة والتي تستهدف إثارة ذهن المتلقي وإدماجه فيما يعرض عليه من أطروحات والعمل على ترسيخها أيضاً.

2-البناء الحجاجي لتفسير آيات العقيدة عند الطاهر بن عاشور في سورة الأنعام:

اهتم المفسرون بشرح الآيات القرآنية التي تضمنت أصول العقيدة "ولقد دعا القرآن الكريم بإلحاح إلى الإيمان بهذه الحقائق الكبرى، دعا إلى الإيمان:

1) بالله خالق الكون

2) بالحياة الآخرة التي تتجلى فيها مسؤولية الإنسان ويتخذ مصيره الأبدي

3) بالنبوة والوحي

وهذه الحقائق الأساسية موضوع ما يسمى بالعقيدة أو العقائد".(امبارك، دت، ص6 و10)

وتعتبر سورة الأنعام* من أهم السور التي تطرقت للقضايا الأساسية لأصول العقيدة، وقد قال صاحب الجامع لأحكام القرآن في فضل نزولها: "هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين، ومن كذَّب بالبعث والنشور" (القرطبي، 1967، ج6، ص373) واستهلت السورة ببيان استحقاق الله عز وجل للحمد وحده لأنه خالق السماوات والأرض وحده، قال تعالى: ﴿**الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظُّلمات والنور**﴾ (الأنعام، 1) "فابتدأت بإشعار الناس بأن حق الحمد ليس إلاَّ لله، لأنه مبدع العوالم جواهراً وأعراضاً فعلم أنه المتفرد بالإلهية. وإبطال تأثير الشركاء من الأصنام والجنِّ وبإثبات أنه المتفرد بخلق العالم جواهره وأعراضه، وخلق الإنسان ونظام حياته

*– سورة الأنعام، مكية نزلت قبل المائدة وبعد الأعراف عدد آياتها 165 آية وهي السورة السادسة في ترتيب المصحف الشريف.

وموته بحكمته تعالى وعلمه، ولا تملك آلهتهم تصرفاً و لا علماً. وتنزيه الله عن الولد والصاحبة، قال أبو إسحاق الإسفرائيني في سورة الأنعام كل قواعد التوحيد".(ابن عاشور1997، ج7ص123).

لقد سعى الطاهر بن عاشور إلى الدفاع عن هذه العقائد باعتماده بناءً حجاجياً يستدل من خلاله على إثبات هذه الحقائق، متخذاً من التفسير سبيلاً لبيان آيات القرآن و الوقوف عند أصول العقيدة الإسلامية. وساهم في ذلك تكوينه الغزير و معرفته باللغة العربية و علومها البلاغية والنحوية والصرفية، وإلمامه بعلم الفلسفة و المنطق، وهي علوم أتاحت لصاحبها إمكانات استدلالية و قياسية أحسن توظفيها في إثبات قضايا التوحيد.

3- الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

لقد أسس بيرلمان -كما أشرنا سابقاً- مفهوم الحجاج على فكرة اعتماد المتكلم التقنيات الحجاجية واختبار مدى نجاعتها في تحقيق الإذعان، وهذه التقنيات على تنوعها ليست سوى مجموعة من الحجج المختلفة عليها مدار الحجاج في الخطاب، وقد قسمها بيرلمان إلى "الحجج القائمة على الوصل (les procédés de liaison) وهي التي تمكن من نقل القبول الحاصل من المقدمات إلى النتائج، والثانية القائمة على الفصل(Les procédés de dissociation) وهي التي تسعى إلى الفصل بين عناصر ربطت اللغة أو إحدى التقاليد المعترف بها" (صولة، 2011ص41).

وتتوزع الأشكال الاتصالية إلى الحجج والأدلة شبه منطقية والحجج المؤسسة على بنية الواقع والحجج المؤسسة لبنية الواقع، وسنتناول ضمن هذا البحث الصنف الثالث من الحجج المدرجة ضمن الأشكال الاتصالية والموسومة بالحجج المؤسسة لبنية الواقع، وهذه الأخيرة تربطها صلة وثيقة بالواقع وتبنيه أو على الأقل تكمله وتظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه أو تجلي ما لم يتوقع من العلاقات" (الدريدي2011، ص242) ويبتغي المحاجج من ورائها بناء واقع جديد مبتكر، لأن هذه الطرق تتسم بالاستدلالية و بطابع التفرد، فالمتكلم يوظف فيها مكتسباته وقدراته ليؤسس لحقائق جديدة، ونتحدث هنا عن نمطين في الاستدلال المؤسس لبنية الواقع **أولاهما** تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة و يشمل حجة الشاهد و المثال و النموذج، و"**ثانيهما** فيقوم على استخدام التمثيلanalogie استخداماً حجاجياً لأنه في الحقيقة ليس قائماً على علاقة تشابه و إنما تشابه علاقة". (" Perlman et (tyteca,2000,p501

فَيُحَوِّلُ المتكلم –ضمن النمط الأول من الحجج- الحالة المتفردة إلى قاعدة عامة قابلة للاستدلال والاستشهاد بها "فيتأسس الواقع على ظاهرة متفردة يتم توسيعها حتى تصبح حالةً عامة لا مجرد حالة خاصة تم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها".(الدريدي2011، ص342)، في حين يوظف التمثيل الحجاجي لإبراز أوجه التشابه العلائقي بين الموضوع و الشبيه على سبيل الاستشهاد و تقريب الصورة .

وتبين الخطاطة التالية تموضع هذه الحجج ضمن تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة:

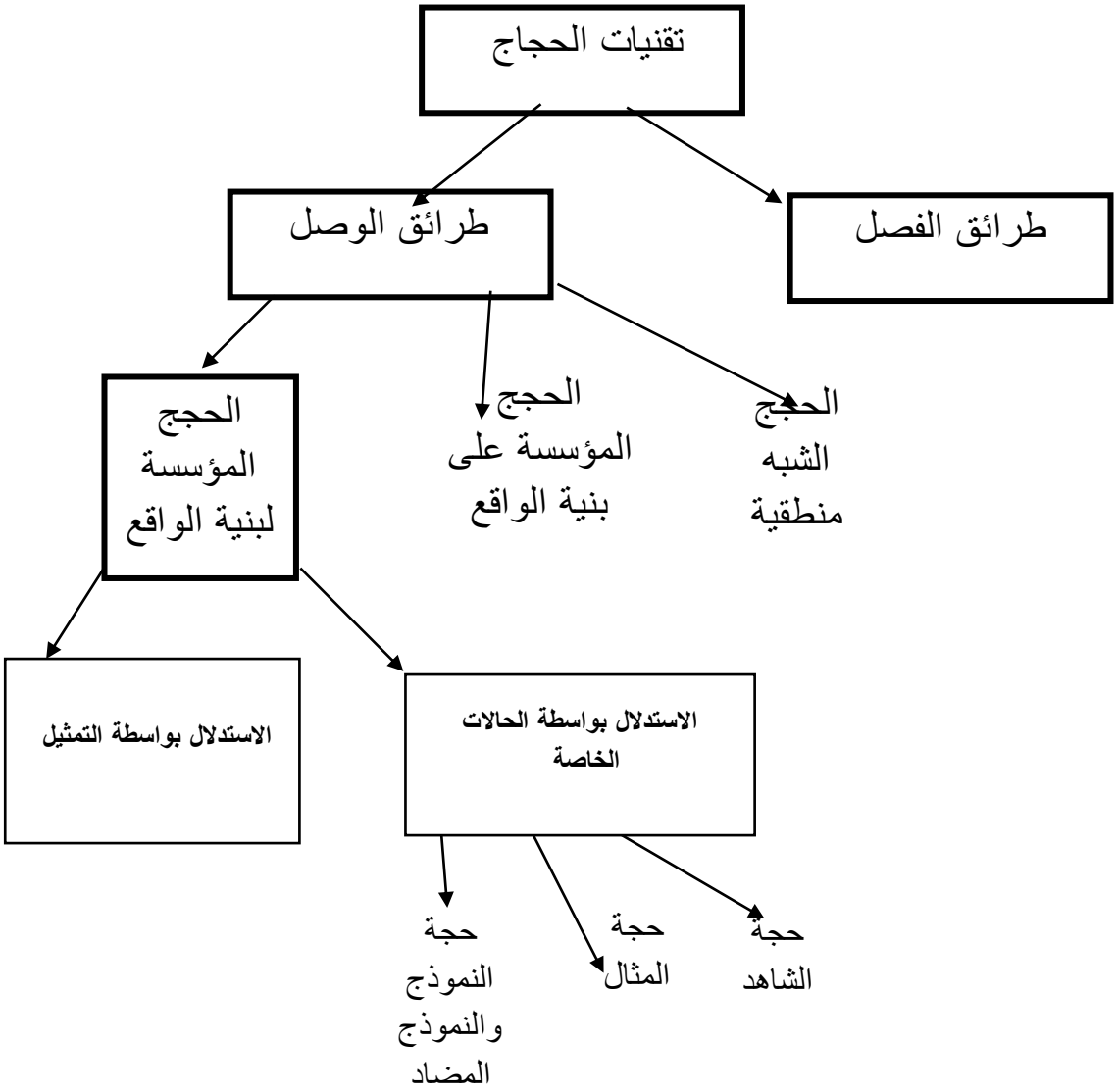

1_3 الاستدلال بحجة الشاهد في القول بوحدانية الله تعالى.

يعرض القرآن الكريم الأدلة المتعلقة بحقيقة وجوده سبحانه وتعالى فيدعو العباد إلى التدبر والتفكر في ملكوته، ويستعين المفسرون بجملة من الحجج تكون لهم دعامة للتأكيد على هذه الحقيقة، فيؤتى بحجة الشاهد لبناء الواقع الذي يسعى المحاجج للتأسيس له، فيكتسي قبولاً عند كافة الناس ووظيفته كما يشير صابر الحبشة (2008) أنه يساهم في"توضيح القاعدة وتكثيف حضور الأفكار في الذهن" (ص49)، وهو بذلك يرفع من درجة تصديق الأطروحة المصرح بها من قبل المتكلم، وبتأملنا لقول الحق سبحانه وتعالى في سورة الأنعام ﴿**الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور**﴾ (الأنعام، 1)، نجد الآية تذكر تفرد الحق سبحانه وتعالى بالخلق، فجاءت جملة (الحمد لله) خبراً تفيد استحقاق الله تعالى للحمد وحده، وتبين كمال سلطانه في خلقه. لأنه فاطر السماوات والأرض.

وقد قال ابن عاشور(1997) في تفسير الآية الكريمة: " فالمعنى هنا أن الحمد كله لا يستحقه إلا الله، وهذا قصر إضافي للرد على المشركين الذين حمدوا الأصنام على ما تخيلوه من إسدائها إليهم نعما ونصراً وتفريج كربات، فقد قال أبو

سفيان حين انتصر هو وفريقه يوم أحد: اعل هبل لنا العزى ولا عزى لكم، ويجوز أن يكون قصراً حقيقياً على معنى الكمال وأن حمد غيره تعالى من المنعمين تسامح لأنه في الحقيقة واسطة صورية لجربان نعمة الله على يديه. والمقصود هو هو، وهو الرد على المشركين لأن الأصنام لا تستحق الحمد الصوري بله الحقيقي كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿**لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا**﴾ (مريم 42) ".(ص126) .

يعتمد التفسير على النظر والتدبر والاجتهاد والدراية وقد جمع منهج الطاهر بن عاشور بين الحسنيين: التفسير بالرواية والدراية، فلم يتقيد بمنهج محدد، فنجده يميل إلى التفسير بالأثر أي بالاعتماد على النقل والرواية والأخبار و تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وتفسير القرآن بأقوال الصحابة... (الزحيلي دت) .وقد يستند من ناحية أخرى على التفسير العقلي وهو تفسير يجنح فيه صاحبه إلى الاجتهاد في تفسير القرآن الكريم بسلكه سبل الاستدلال والاستنباط وكذا الاستناد إلى "كلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفة الألفاظ العربية ووجوه دلالتها" (الذهبي 2004).

والموجب للملاحظة في تفسير الآية الكريمة أن الطاهر بن عاشور يسعى لإثبات أصل من أصول العقيدة وهي حقيقة التوحيد، و لتأكيد صحة هذه الدعوى نراه يوظف حجة الشاهد ضمن تفسير حجاجي انتقل بموجبه من مقدمة كبرى إلى نتيجة محددة، حاشداً لهذا الاستدلال الحجة النقلية المناسبة، و هي حجة الشاهد القرآني و المتمثلة في الآية 42 من سورة مريم، و ويعدل الطاهر بن عاشور إلى هذه النوعية من الحجج أثناء صياغته للواقع العقدي الذي يسعى للتأسيس له وتثبيته في كيان متلقيه.

حيث بين استحقاق الحمد لله وحده دون غيره، مع تأكيد بطلان دعوى المشركين في حمدهم للأصنام بعدما تخيلوه من إسدائها للنعم والنصر مستعرضاً لدعواهم (واقعة أحد) وما اشتملت عليه من تعظيم أبي سفيان للآلهة اعتقاداً منه أنها كانت سبباً في نصرتهم، وهو ما يصطلح عليه في نظرية البلاغة الجديدة **بحجة النموذج المضاد**، فاذا كانت حجة النموذج تستخدم للحض على عمل ما اقتداء به و محاكاة له فإن النموذج المضاد يكون الحض فيه " لا على الاقتداء بطبيعة الحال و إنما على الانفصال عن الشخص الذي يمثل عكس النموذج "(صولة، 2011، ص56) في حين بنى النتيجة المتوصل إليها على حجة الشاهد القرآني وهي الحجة الأقوى نظراً لاشتمالها على السلطة الدينية.

ويمكننا صياغة هذا الاستدلال على الشكل الآتي:

مقدمة كبرى ⟵ الإعلان أن أحقية الحمد لله وحده

مقدمة صغرى ⟵ الأصنام لا تستحق الحمد

النتيجة ⟵ وجود إله واحد متفرد بالحمد

وبتأملنا لطبيعة الشواهد الموظفة في تفسير الآية الكريمة نراها تخضع لتراتبية دقيقة تشمل الأقل قوة ثم الأقوى ويمكننا ترتيب هذه الحجج على الشكل التالي:

النتيجة= الحمد خاص بالله وحده دون غيره

ح3. استنكار عبادة الأصنام لأنها لا تسمع ولا تبصر (حجة الشاهد القرآني: الاية42 من سورة مريم)

ح2 ـ الأصنام لا تستحق الحمد لأتها لا تعقل (حجة المفسر)

ح1 ـ المشركون يحمدون الأصنام اعتقاداً منهم بأنها تمدهم بالنصر كما حصل يوم أحد(النموذج المضاد)

وعلى ضوء هذا النموذج الحجاجي المرصود يعمد المفسر على وضع القارئ أمام مجموعة من القضايا المدعومة بحجة الشاهد حيث حسم كل مواطن الشك في قضية وحدانية الحق تعالى وتفرده بالحمد فجاء بحجة الشاهد القرآني باعتبارها أقوى الحجج الموظفة في تراتبية السلم الحجاجي نظراً لما تحتويه هذه الحجة من سلطة باعتبارها شاهداً دينياً من جهة، ومن جهة أخرى لما يتضمنه الشاهد نفسه من معاني التدبر والتفكر في خلق الله تعالى والذي سيفضي بذوي النهى إلى إدراك أن الحمد خاص بالله وحده دون غيره.

2_3 الاستدلال بحجة المثال في القول بحقيقة البعث:

يوظف المثال "illustration" في الخطاب الحجاجي "لتوضيح قاعدة معروفة ومسلم بها، أي ليعطيها نوعاً من الحضور في وعي المستمع" (ابن هاشم، 2011، ص84) فلا يستخدم لتوضيح قضية مبهمة ولكن لتثبيت أمر معروف لدى السامع وتقتضي وظيفته، أن يكون شاهداً توضيحياً مكملاً، يسعى من خلاله المحاجج لزيادة درجة الإذعان، وهذا ما جعل بيرلمان يُميز بين حجة الشاهد وحجة المثال: فالشاهد يسمح بالتعميم، و أما المثال فيسمح بدعم قاعدة قائمة سلفاً.

إن المتأمل في القرآن الكريم، يلمس دون عناء عنايته بتأكيد البعث وتثبيته في نفوس المسلمين باعتباره أصلاً من أصول العقيدة وركناً من أركان الإيمان الذي لا يستقيم إلاّ بحضوره في الوجدان.

وقد قال تعالى في سورة الأنعام (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أَجَلاً وأَجَلٌ مسمى عنده ثم أنتم تمترون) (الأنعام، 2).

اشتملت الآية الكريمة على حقيقة البعث، كما تصور إنكار المشركين لهذا الأصل العقدي واستؤنفت بضمير (هو) العائد على الذات الإلهية (هو الذي خلقكم)، فحصل تعريف المسند والمسند إليه في الجملة الإسمية، فأفادت هذه الأخيرة القصر في ركني الإسناد ويكون المعنى الجامع: أي هو خالقكم لا غيره، وهو الذي قضى أجلاً لميقات يوم معلوم.

وقد فسر الطاهر بن عاشور هذه الآية بقوله: "وهو الذي قضى أجلاً وعنده أجل مسمى فينسحب حكم القصر على المعطوف على المقصور. والحال الذي اقتضى القصر هو حال إنكارهم البعث لأنهم لمَّا أنكروه وهو الخلق الثاني نزلوا منزلة من أنكر الخلق الأول إذ فرق بين الخلقين، بل الإعادة في متعارف الصانعين أيسر كما قال ﴿**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه**﴾.(الروم 27).

والقصر أفاد جميع هذه التكوينات عن غير إله من أصنامهم فهو كقوله ﴿**لله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يُحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء**﴾ (الروم، 40)".(ابن عاشور، 1997، ص129)

لقد وضع الطاهر بن عاشور أمام القارئ حجة المثال لتكون بذلك سنداً ودعامة لتأكيد حقيقة البعث باعتبارها قضية النزاع بين المشركين الذين أنكروا هذا الأجل المسمى، بدعوى استحالة تحقق الخلق الثاني، فجاءت حجة المثال في النص التفسيري صورة ذهنية تربطها صلة وثيقة بالواقع الذي يسعى المفسر لتجليته وتتمثل في استحضار المتلقي لصورة الصانع الفذ الذي لا يشق عليه إبداع التحفة فكيف يُعييه إعادة صنعها مرة ثانية:

القضية المطروحة

[حقيقة البعث]

الدعوى	حجة المثال لدعم الدعوى	النتيجة
الله لا يُعييه بعث خلقه من جديد فهو من خلقهم في البَدْءِ.	الصانع لا يشق عليه إعادة المنحوتة فإعادة الصنع أهون من الإبداع الأولي.	الله قادر على إحيائنا إلى أجل مسمى

وظيفة المثال كما أشرنا في البداية التوضيح والبيان وإزالة اللبس، وقد يستعمل لتوضيح أمر معروف سلفاً، وتبين الخطاطة دور حجة المثال في تأكيد النتيجة و الغاية التي سعى المفسر لإثباتها وهي حقيقة البعث، التي أنكرها المشركون في النص القرآني علماً أنهم لم ينكروا حقيقة الخلق الأول، وهو ما استدعى من المفسر توظيف حجة المثال لتكون آية لإفحامهم من جهة ومن جهة أخرى وسيلة لإنكار ما جاؤوا به فكيف يؤمن المرء بالخلق و هو الأصعب لأنه مبني على غياب النموذج الأصلي و لا يؤمن بالبعث وهو الأهون في عرف الصانع لأنه يستند على النموذج الأولي.

ولم يكتف الطاهر بن عاشور باستحضار المثال، الذي شكل سنداً أثبت حقيقة النافلة التي توصل إليها بل دعم هذه الأخيرة بحجة أقوى وهي حجة الشاهد القرآني حيث ذيل النتيجة المتوصل إليها بآيات بيناتٍ من القرآن الكريم وافقت الغاية التي يرمي إليها الحجاج فعززت مستوى الإذعان لدى القارئ.

النتيجة= الله لا يعييه إعادة الخلق

الحجة (2)الشاهد القرآني: (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يُحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) (الروم الآية 40).

الحجة (1)الشاهد القرآني: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه).(الروم 27)

حجة المفسر(المثال): الصانع لا يعييه إعادة الصنع مرة ثانية.

تخدم الحجة 1 والحجة 2 المثال المقدم من طرف المفسر

3-3 الاستدلال بواسطة التمثيل في القول بصفات الله تعالى:

إن "الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالى وهي: الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربوبيته والإيمان بألوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته" (العثيمين2002، ص18).فلمنزلة العلم بأسماء الله وصفاته في الإسلام مرتبة عظيمة، إذ لا يمكن لأحدٍ أن يعبد الله حق عبادته حتى يتمثل صفاته ويدركها على بصيرةٍ.

وقد يستعين المفسرون بالأساليب البلاغية لتقريب هذه الصفات واستحضارها في ذهن المتلقي، ويجسد التمثيل في نظرية البلاغة الجديدة شكلاً من أشكال الاستدلال ضمن العملية الحجاجية حيث يسعى التناسب (l'analogie) إلى إثبات أوجه التشابه بين الموجودات مما يجعل منه تقنية حجاجية مهمة هدفها التأسيس للواقع الذي يسعى المحاجج لبنائه، و "يرى المؤلفان أن التمثيل في الحجاج ينبغي أن تكون له مكانته باعتباره أداة برهنة فهو ذو قيمة حجاجية وتظهر قيمته الحجاجية هذه حين ننظر إليه على أنه تماثل قائم بين البنى وصيغة هذا التماثل العامة هي: "إنّ لعنصر [أ] يمثل إلى العنصر [ب] ما يمثله العنصر [ج] بالنسبة إلى العنصر [د]"(صولة، 2011، ص56).

ومعنى ذلك أن التمثيل مقابلة بين مجموعة من البنى الذهنية تجمعها علاقة تماثل وإن كانت ضمن مجالات متباينة. فلا يرتبط التمثيل في البلاغة الجديدة بعلاقة المشابهة و إنما يرتبط بتشابه العلاقة بين عناصر ما كان لها أن ترتبط، وهو ما يجعله أرقى قيمة و وظيفة من مفهوم المشابهة المستهلك.

وبتأملنا لتفسير العلامة الطاهر بن عاشور للآية الكريمة ﴿**وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم**﴾(الأنعام، 13)، نجده يقول: "وتقديم المجرور للدلالة على الحصر، وهو حصر الساكنات في كونها له لا لغيره، أي في كون ملكها التام له، كما تقدم في قوله (قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله). وقد جاء قوله: (وهو السميع العليم) كالنتيجة للمقدمة، لأن المقصود من الإخبار بأن الله يملك الساكنات التمهيد لإثبات عموم علمه، وإلا فإن ملك المتحركات المتصرفات أقوى من ملك الساكنات التي لا تبدي حِراكاً، فظهر حسن وقع قوله: (وهو السميع العليم) عقب هذا والسميع: العالم العظيم" بالمسموعات أو المحسوسات والعليم: الشديد العلم بكل معلوم"(ابن عاشور، ص155).

لقد شبه الطاهر بن عاشور موضع ذكر أسماء الله الحسنى(السميع و العليم) في الآية الكريمة بالنتيجة، أما مستهل الآية (وله ما سكن) فقد شبهه بالمقدمة، وذلك لما تحتوي عليه بداية الآية من تمهيد لإثبات ملكية الحق سبحانه وتعالى، لسعة علمه لأن شأن المالك أن يعلم مملوكاته، وخصص الحق سبحانه الليل بالذكر لأن الساكن في ذلك الوقت يزداد خفاءً وعطف النهار عليه لقصد زيادة الشمول، فكانت عبارة السميع العليم المشتملة على صفات الله الحسنى من كمال السماع والعلم بالأشياء الظاهرة والباطنة بمثابة النتيجة للمقدمة فيكون بذلك الجامع بين طرفي التشبيه : علاقة الارتباط والتراتبية لتحقيق القصد، وبتتبعنا لقاعدة التمثيل الحجاجي في البلاغة الجديدة : "إنّ العنصر [أ] يمثل إلى العنصر [ب] ما يمثله العنصر [ج] بالنسبة إلى العنصر [د]"

نجد أن:

أ= (الله ما سكن في الليل والنهار)

ب= (السميع العليم).

علاقة ارتباط و تراتبية

ج=(المقدمة)

د=(النتيجة)

علاقة ارتباط و تراتبية

نستنتج أن الصلة الرابطة بين عناصر التمثيل ليست علاقة تشابه، بل تشابه علاقة و ذلك أن علاقة (أ) ب (ب) هي نفسها علاقة (ج) ب (د) فعبارة (لله ما سكن في الليل و النهار) بمثابة التمهيد أو المقدمة لتقرير موجودات الحق سبحانه و تعالى و أما عبارة (السميع العليم) ليست سوى نتيجة منطقية تفيد تقرير عموم الملك لله وحده.

خاتمة:

بعد دراستنا التحليلية لبعض من نماذج تفسير سورة الأنعام المقدمة من طرف العلامة الطاهر بن عاشور في مدونته التحرير والتنوير، توصلنا للنتائج التالية :

- يقوم الخطاب التفسيري للطاهر بن عاشور على مبدأ التنوع في رصد الحجج لإثبات قضايا العقيدة. وهو ما يؤكد غزارة علم الرجل وموسوعيته.
- تراوحت الحجج المقدمة من طرف المفسر في دفاعه عن آيات التوحيد بين الأدلة النقلية و العقلية، الشيء الذي يفسر عدم ارتباطه بمنهج تفسيري واحد.
- يبني الطاهر بن عاشور لقضية وحدانية الله تعالى عن طريق تقنية الهدم الحجاجي فهو يهدم العقائد المخالفة ثم يعمد الى بناء عقيدة التوحيد بالحجة و الدليل الدامغ.

لائحة المراجع بالعربية:

- عباس حشاني، محمد خيضر، أبعاد النظرية الحجاجية ومظاهرها عند المفسرين وعلماء الأصول، http://revue/ummto.dz.
- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء7، المجلد 3، دار سحنون للنشر، ط1997.
- صابر الحبشة، التداولية والحجاج.
- محمد الزحيلي، تعريف عام بالعلوم الشرعية، دار الكوثر للنشر، ط1.
- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة مصعب بن عمير، الرياض، ط2004، ج1.
- أبي عبد الله محمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، ط1967، الجزء 6.
- سامي الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2011،
- الحسين بن هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان.مكتبة الأدب العربي ط2011.
- محمد بن صالح العثيمين، شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق أبو يعقوب نشأة بن كمال المصري، دار الأثار، ط1، (2002).
- محمد امبارك، العقيدة في القرآن الكريم، دار الفكر الطبعة الاولى
- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، مسكيليني للنشر (دراسات وتطبيقات)، ط1، 2011.

بالفرنسية

- Chaïm Perlman et Lucie-Olbrechts-Tytica, Traite de l’argumentation La nouvelle rhétorique, l’université de Bruxelles, 5ème Edition،